مرض الإيدز
٢٣/ ٤/ ١٤٠٩ هـ
٢/ ١٢/ ١٩٨٨ م

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

حضرت فى الأسبوع الماضى مؤتمرًا للطب الإسلامى فى القاهرة ، عقدته المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية فى الكويت ، بالتعاون مع الأزهر الشريف ، ومع نقابة الأطباء فى مصر .

وكان مما لفت النظر فى هذا المؤتمر موضوع شغل العالم اليوم ، وهو ما يسمى بـ (الإيدز) ، والإيدز حروف لكلمات تدل على مرض هو : (نقص المناعة الطبيعية والمكتسبة لدى الإنسان) ، فإن الله سبحانه وتعالى زود الجسم الإنسانى بجند من جنده : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ . . . ﴾ (١) ، هذه الجنود المجندة الخفية التى لا ترى إلا بالمجاهر - وقد لا ترى - تقاوم كل ميكروب غريب يزحف على هذا الجسم ، وإلا تعرض للهلاك من أقل ميكروب أو فيروس .

يأتى هذا المرض ليحطم هذا الجند المجند المرابط من قبل القدرة الإلهية ، وليقبض عليه ، فيصبح الإنسان فريسة لأى مرض ، يمكنه أن يهاجمه ويقضى عليه .

هذا هو المرض الذى أشير إليه باسم (الإيدز) ، وهو الذى يرعب العالم كله الآن ، وقد عرض الإخوة الأطباء الذين جاءوا من أوروبا وأمريكا ، والذين يعيشون هناك فى أعلى الاختصاصات ، وفى أرقى المراكز ، وعرضوا بالصور ، وعرضوا

---

(١) المدثر : ٣١ .

بالأفلام ، وبلغة الإحصاءات ، ما يهدد العالم من وراء هذا الداء الخطير ، وهذا الوباء الوبيل ، وهذا المرض العضال .

إنها إحصاءات مرعبة ، فآلاف مؤلفة تعانى من هذا المرض ، وآلاف وآلاف تحمل الميكروب ، وآلاف وآلاف ، بل ملايين وملايين ، مهددة أن يصل إليها هذا المرض بوسيلة من الوسائل ، فما سبب ذلك كله ؟

سبب ذلك كله هو الشرود عن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، هو الشرود عن السنن الإلهية التى أقام الله عليها هذا الكون ، هو الشرود عن أحكام الله تبارك وتعالى .

لقد أصيب بهذا المرض الغربيون فى أرقى البلاد التى وصلت إلى القمر ، وتحاول الصعود إلى الكواكب الأخرى .

أصيب به أبناؤها ، وأصيب به بناتها ، وحتى الأطفال أصيبوا بهذا المرض الوبيل الذى وقف الأطباء عاجزون عنه ، لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا .

من أجل ذلك تنادى العالم كله للوقوف أمام هذا الوباء الذى يسمونه (الطاعون الأبيض) يتنادى العالم للوقوف ضده ، للوقاية منه ، فالوقاية خير من العلاج ، ودرهم وقاية خير من قنطار من العلاج .

لقد أصابهم هذا المرض نتيجة انتشار الفاحشة ، نتيجة انتشار الشذوذ الجنسى ، نتيجة انتشار الزنا واللواط والاتصال غير المشروع بين الرجل والرجل ، والاتصال المحرم بين الرجل والمرأة ، ونتيجة الإعلان به جهارًا نهارًا ، حتى أن الشواذ أصبح لهم أندية خاصة ، وأصبحوا يسيرون مسيرات ومظاهرات فى شوارعهم الكبرى ، تجوب الطرقات ، وتنادى أن يكون لهم حق الاتصال الشاذ .

بلغ الأمر عند هؤلاء الناس إلى هذا الحد ، يقولون : نحن أحرار ، دعونا كما نشاء ، يتصل الرجل بالرجل ، والرجل بالمرأة ، والمرأة بالمرأة .

هذه هى الحرية عندهم ، حرية الفسوق لا حرية الحقوق ، حرية البهيمة لا حرية الإنسان ، إن الحرية ليست أن تفعل كل ما تشتهى ، ولكن الحرية الحقيقية أن تفعل ما ينبغى .

ليس هناك حرية مطلقة فى هذا الكون ، كل شىء له حدود ، حتى الكواكب السيارة لها مساراتها ومداراتها : ﴿ . . . كُلٌ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١) ، حتى الطائرات لها مسابحها فى الجو ، حتى البواخر فى المحيطات لها مساراتها ، كل شىء لا يمكن أن يكون حرا بإطلاق ، لا بد من قيود وحدود ، وإلا اصطدمت الأشياء بعضها مع بعض .

الحرية المطلقة بهيمية حيوانية وليست من الإنسانية فى شىء ، هؤلاء يطالبون بالحرية المطلقة ، حرية أن يتصل الرجل بالرجل ، أى قذارة ، وأى حقارة ، وأى أذى ؟!

إن الناس سألوا - فى عهد النبى ﷺ - عن اتصال الرجل بامرأته فى وقت الحيض ، فجاء قول الله تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ، قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢) ، إتيان فى موضع الحرث ، ورجل مع امرأته فى الحلال ، ولكن إذا وجد الأذى . . . وجد الدم ، فعلى الإنسان أن يتنزه ، ويتنظف ، ويضبط نفسه ، حتى يأتى وقت الطهر : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ، أما هذا فهو يأتى مكانًا هو موضع القذر ، لم يخلقه الله لهذا الأمر ، ما خلق الله الذكر ليركب ، ما خلق الله الشرج ليؤتى ، إنما خلقه لمهمة أخرى قذرة ينبغى للإنسان أن يتنظف منها ويتطهر ، فكيف قلب هؤلاء فطرة الله التى فطر الناس عليها ؟!

إنّ قومًا فى التاريخ فعلوا ذلك ، وهم قوم لوط ، كانوا أول من ابتكر هذه الفاحشة ، ما سبقهم بها أحد من العالمين : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

أرسل الله إليهم نبيه لوطًا عليه السلام يدعوهم إلى الله ، وإلى التنزه عن هذه

---

(١) الأنبياء : ٣٣ . (٢) البقرة : ٢٢٢ . (٣) الأعراف : ٨٠ .

الفاحشة ، ودمغهم بأسوأ الأوصاف ، فقال : ﴿ . . . بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[1] ﴿ . . . بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [2] ﴿ . . . بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [3] ﴿ . . إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [4] ، وصفهم بكل الأوصاف الهازئة ، ثم سأل الله سبحانه وتعالى أن يخلصه منهم ، فنجاه من هذه القرية التى كانت تعمل الخبائث والتى كانت تأتى فى ناديها المنكر ، والتى كانت تتربص حتى بالضيوف ، ولا يسلم منها ضيف ، إنها آفة ، إنها مصيبة ، من أصيب بها فقد عقله ، وفقد ضميره ، وفقد وعيه ، ولم يرع أى قيمة من القيم حتى الضيوف .

هؤلاء استحقوا العقوبة من الله تبارك وتعالى ، عوقبوا بما لم يعاقبه أحد فى العالمين ، جزاء فاحشتهم التى لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، وجعل عالى بلدانهم سافلهم ، قلبها عليهم كما قلبوا فطرة الله عز وجل ، وأرسل عليهم حجارة مسوّمة كل حجر مصوب لصاحبه لا يخطئه : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [5] عقوبة الله ليست ببعيدة عن كل من سلك مسلكهم ، أو اتبع منهاجهم .

الغربيون أعادوا الفاحشة التى ابتدعها قوم لوط ، ولكنهم زادوا على قوم لوط ، فباهوا بها ، وأعلنوا عنها ، وأصبحت لهم أنديتهم ، وأصبحوا يسيرون المظاهرات ، ويكتبون فى الصحف ، بل أصبح هناك من يدعو إلى قانون يتيح لهم هذا الأمر: أن يقنن هذا الخروج عن الفطرة ، وأن يقنن هذا الإجرام .

وللأسف كل الأسف ، وجد من الكنائس المسيحية التى تنتسب إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، الذى كان يقول : لقد كان من قبلكم يقولون : لا تزن ، وأنا أقول : من نظر بعينيه فقد زنى ، هكذا يروون عنه فى الإنجيل ، إنه يحرم النظرة غير البريئة ، فكيف بهؤلاء الذى يستحلون ما حرم الله فى كل جيل ؟ للأسف تقوم

---

(١) النمل : ٥٥ .　　(٢) الأعراف : ٨١ .　　(٣) الشعراء : ١٦٦ .
(٤) الأنبياء : ٧٤ .　　(٥) هود : ٨٢ ، ٨٣ .

بعض الكنائس لتبارك هذا المنكر ، ويقوم بعض القسس بكتابة عقود يزوج فيها الرجل من الرجل !!

أى حضارة هذه الحضارة ؟ وأى مدنية هذه المدنية ؟ ليست الحضارة أن تلعب بالأزرار لتأتيك بالأشياء فى أسرع وقت ، وأن تختصر لك المسافات ، وأن تقرب إليك البعيد ، وأن تنطق لك الحديد .

الحضارة أن ترقى باعتبارك إنسانًا ، أن يكون لك عقل وخلق وضمير ، أن تضبط نفسك أمام الشهوات ، أن تقول : لا ، بملء فيك إذا وجدت ما يصادم إنسانيتك، أن تركل الشهوات بقدميك ، وتقول ما قاله الصديق ابن الصديق ابن الصديق ابن الصديق ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام : ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾(١) ، حينما عرضت عليه الفتنة ، هكذا ينبغى أن يكون الإنسان .

وللأسف الشديد أيها الإخوة ، بدأ رذاذ من هذه الحضارة ينتقل إلينا نحن المسلمين، بدأنا - نحن المسلمين - نقلدهم تقليدًا أعمى . . . تقليد القردة ، ونحاكيهم محاكاة الببغاوات ، نريد أن نسير سيرتهم ، ونستن بسنتهم ، ونمشى وراءهم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه ، كما قال النبى ﷺ(٢) .

يريد بعض الناس منا أن نسير وراء الغرب ، أن نطلق الحرية ، أن ندع للشباب والشابات الحبل على الغارب ، ليجرب كل منهم صاحبه ، يتعلم بعض شبابنا هذا الأمر عن طريق الفكر المضلل ، وعن طريق المخالطة والاتصال بأولئك القوم فى بلدانهم ، حين يذهب من يذهب إلى أوروبا وأمريكا ، وحينما يذهب من يذهب

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ، قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ، إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

(٢) ونص الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله : اليهود والنصارى؟ قال : فمن ؟! » متفق على صحته (شرح السنة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط ١٤/ ٣٩٢ ، الحديث : ٤١٩٦) .

إلى بلاد الشرق الأقصى ، إلى (بانكوك) وما وراءها ، فيأتون وقد تلوثوا بالأمراض ، وقد أصيبوا بالأدواء ، فى أبدانهم وفى عقولهم !

هكذا بدأنا نذهب إليهم لنأخذ عنهم البلاء والوباء ، أو يأتون إلينا فى صور شتى.

إن الله حصننا نحن المسلمين بتعاليم دينه ، حصننا بأحكام شرعه ، حصننا بالعقيدة التى تجعل المؤمن يقف شامخًا كالجبل الأشم ، أمام الأهواء والمغريات والشهوات ، لا يرضى أن يلوث نفسه ،إن الإسلام قد رباه منذ نعومة أظفاره على غض البصر وحفظ الفرج ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ . . . ﴾ (١) .

إن الله أراد للإنسان المسلم أن يتربى على العفاف والإحصان وخلق الحياء ، فلا يرضى أن يتلوث بالشهوات ، وأن يقع فى بؤرة المعاصى ، حتى لو جاءت الشهوة إليه ساعية فإنه يرفضها ويقول : معاذ الله ، ويقول كما قال أحد السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، حينما عرضت له امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين (٢) ، هذا هو شأن الإنسان المسلم .

علّم الإسلام المسلم منذ صباه أن يتعفف ، ويتنظف ، ويتطهر ، ويتنزه ، ويرفض أن يتلوث بهذه الكبائر ، علّمه ألا يتصل بالجنس الآخر إلا فى الحلال .

---

(١) النور : ٣٠ ، ٣١ .

(٢) روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله : اجتمعا على ذلك ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه » [المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٢٨٧ ، الحديث ٤٥٧] .

من أوصاف المؤمنين فى القرآن : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (١) ، أولئك هم المعتدون على حدود الله ، الظالمون لأنفسهم وللناس .

● أغلق الإسلام أبواب الحرام أمام المسلم ، وفتح له أبواب الحلال ، ودعا الناس إلى أن يتزوجوا ويزوجوا : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ، إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

إن الإسلام يعمل على إيجاد الفرد النظيف والمجتمع النظيف ، فدعا المجتمع أن يعين كل من يرغب فى الإحصان ، كما دعاه إلى أن يطهر نفسه من أسباب الفتنة ، ودواعى الإغراء والإفساد ، فلا يجوز لمجتمع مسلم أن يوجد فيه ما يحرض على الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لا يجوز لمجتمع مسلم أن توجد فيه الصورة العارية أو شبه العارية ، أو الغناء الماجن ، أو القصة الخليعة ، أو المرأة المكشوفة التى تباع لحمًا رخيصًا فى الطرقات والأسواق وعلى الشواطىء ، لا يجوز هذا فى حال من الأحوال ، وبهذا يحصن المسلم نفسه من كل وباء ، ومن كل مرض .

إما إذا شرد الناس عن هذا ، وارتكبوا ما حرّم الله ، وتورطوا فى الموبقات ، وأعلنوا بها كما فعل الغربيون ، فإن عقاب الله تعالى بالمرصاد .

إن لله عقوبات شتى ، منها عقوبات شرعية ينفذها ولى الأمر المسلم ، ومنها عقوبات كونية قدرية ، يتولاها القدر الأعلى ، وفقًا لما ربط الله به هذا الكون من شبكة الأسباب والمسببات ، ومرض (الإيدز) هو نوع من العقوبة القدرية الإلهية كما نبأنا بذلك رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه ابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى عن ابن عمر ، أن النبى ﷺ قال لأصحابه : « يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن [وكانت أولى هذه الخصال الخمس] لم تظهر الفاحشة (٣) فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون

---

(١) المؤمنون : ٥ - ٧ ، المعارج : ٢٩ ، ٣٠ . (٢) النور : ٣٢ .

(٣) الفاحشة تشمل الزنى وعمل قوم لوط الذى يعرف فى عصرنا باسم (الشذوذ الجنسى).

والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا . . . » [1] .

انظروا إلى هذا الحديث الشريف العجيب ، انظروا إلى هذا الإعجاز النبوى : «لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها » : وجود الفاحشة عند فرد أو أفراد قد يعفوا الله تعالى عنه ، أو يؤجل العقوبة عليه ، ولكن حينما تظهر فى قوم . . . فى جماعة . . . فى مجتمع ، وتظهر إلى حد أن يعلنوا بها ، ويجاهروا بها ، ويتباهوا بها ، ويقيموا النوادى من أجلها « إلا فشا فيهم الطاعون » : لقد كان الطاعون يأتى قديمًا ويأكل الأخضر واليابس ، ويفنى الناس بالجملة ، ولا يجد الناس له مقاومة ولا علاجًا ، والغربيون يطلقون على (الإيدز) لفظ : (الطاعون) كما فى جاء فى حديث النبى ﷺ ، فهذا هو طاعون هذا العصر : « إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا » وهذا المرض فعلاً ما كان الناس يعرفون عنه شيئًا قبل عدة سنوات ، فهو مرض جديد ، كلما أحدث الناس معصية أحدث الله لهم عقوبة ، هكذا سنة الله تبارك وتعالى .

إن هناك رقابة على هذا الكون ، رقابة إلهية لا تدع الناس دون أن تأتيهم النذر ، وهذه النذر أيضًا من رحمة الله تبارك وتعالى ، لينبه الغافلين ، ويذكر الناسين ، ويوقظ النائمين ، ويقول : يا أيها الضالون عودوا ، ويا أيها العصاة توبوا ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [2] ، ظهرت المصائب من كل نوع: مصائب فى الفرد ، ومصائب فى الأسرة ، ومصائب فى الجماعة ، مصائب فى الأجسام ، ومصائب فى الأنفس ، ومصائب فى العقول ، ومصائب فى الأموال ، ومصائب من كل ناحية ، فساد شامل ، لماذا ؟ ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ ﴾ ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [3] ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ

---

(١) رواه ابن ماجه - وهذا لفظه - والبزار والبيهقى من حديث ابن عمر بنحوه ، ورواه الحاكم أيضًا ، وصحح إسناده ، ووافقه الذهبى ، وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: الحديثان ٣٩٩ ، ١٤٣٣) .

(٢) الروم : ٤١ .

(٣) يونس : ٤٤ .

أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (١) . ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُواْ ﴾ لا يذيقهم كل ما عملوا، لو أخذ الله الناس بكل ما عملوا لأفنى هذا الكون ، لأباد خضراءهم ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى . . . ﴾ (٢) ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (٣) .

﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، أى أنه ينبههم بهذه العقوبات ليتذكروا ، ليذكر الإنسان ضعفه أمام القدرة الإلهية ، ليذكر الإنسان مصيره، ليذكر مبدأه ومنتهاه .

﴿ لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ ﴾ فهل يرجع الشاردون ؟ فهل يتوب العاصون ؟ فهل يهتدى الضالون ؟ فهل يستيقظ النائمون ؟ هيهات . . . هيهات .

لقد أسمعت لو ناديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنـــادى

لقد جاءتهم النذر من كل ناحية ، جاءتهم النذر وهم فى غيهم سادرون . . . فى غفلتهم لاهون . . . فى غمرتهم ساهون . . . فعلينا نحن المسلمين أن نأخذ العبرة ، أن نستفيد من غيرنا ، فالسعيد من وعظ بغيره .

نحن مسلمون أكرمنا الله بالإسلام ، وحصننا بهذا الدين ، فلا يجوز لنا أن نكون نسخة من غيرنا ، أن نمسخ أنفسنا ، ونصير أذنابًا لغيرنا ، إن كان ولابد أن نأخذ من الغرب ، فلنأخذ منه العلم والتكنولوجيا ، والعلم هو بضاعتنا فى الحقيقة ترد إلينا .

لقد أخذوا المنهج العلمى التجريبى منّا ، فعلينا أن نستعيده ونستفيد منه و« الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها » (٤) ، أما أن نأخذ عنهم كل شىء كما ينادى من ينادى من الناس ، فهذا هو المسخ .

---

(١) آل عمران : ١٨٢ ، الأنفال : ٥١ . (٢) فاطر : ٤٥ . (٣) الشورى : ٣٠ .

(٤) رواه الترمذى فى كتاب العلم من سننه واستغربه ، وفى سنده راو يضعف من قبل حفظه (٢٦٨٨) ، كما رواه ابن ماجه فى الزهد (٤١٦٩) ، كلاهما عن أبى هريرة ، والسند وإن كان ضعيفًا فالمعنى صحيح .

لا يجوز لهذه الأمة بحال أن تنماع شخصيتها ، وأن تسير وراء غيرها من المغضوب عليهم ومن الضالين ، وقد علم الله المسلم أن يقول فى كل يوم ما لا يقلّ عن سبع عشرة مرة مناجيًا ربه : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ (١) .

علينا نحن المسلمين أن نتميز عن غيرنا ، فنحل ما أحل الله ، ونحرم ما حرم الله ، وللأسف لا زالت بعض القوانين فى بلاد المسلمين تحل الحرام . . . تحل الزنا الصريح . . . تحل الاتصال غير المشروع ، ما دام ذلك يتم برضا الطرفين ، فالقانون لا سبيل له عليهما ، وكما يقول المثل : « أنا راض ، وأبوى راضى ، وأنت مالك يا قاضى ؟! » .

وفى بعض البلاد حرموا الزواج بامرأة ثانية ، وأباحوا اتخاذ الخليلات والعشيقات ، وهكذا فعلوا : أحلوا الحرام وحرموا الحلال ، وعارضوا شرع الله جهارًا نهارًا ، عيانًا بيانًا .

نحن المسلمين علينا أن نستمسك بشرع الله عز وجل ، فهو سفينة الإنقاذ ، وطوق النجاة فى الدنيا والآخرة .

إن الدين ليس سبيلاً للسعادة فى الآخرة فقط ، بل هو سبيل السعادة فى الدنيا قبل الآخرة ، لا نجاة إلا به ، ولا وحدة إلا به ، ولا قوة إلا به ، ولا نصر إلا به ، من أراد الدنيا فليتمسك بالإسلام ، ومن أراد الآخرة فليتمسك بالإسلام ، ومن أرادهما معًا فليتمسك بالإسلام .

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه من كل ذنب ، إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

(١) الفاتحة : ٦ ، ٧ .

● **الخطبة الثانية :**

أيها الإخوة المسلمون :

ورد أن فى يوم الجمعة ساعة إجابة ، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له ، ولعلها تكون هذه الساعة .

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم انصر إخواننا المجاهدين فى فلسطين ، وانصر إخواننا المجاهدين فى لبنان ، وانصر إخواننا المجاهدين فى أفغانستان ، وانصر إخواننا المجاهدين فى الفلبين، وانصر إخواننا المجاهدين فى كل شبر من أرض الإسلام ، اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام ، اللهم رد عنا كيدهم ، وفل حدهم ، وأذل دولتهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المسلمين .

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وقلوبهم على التقوى ، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل ، ونياتهم على الجهاد فى سبيلك : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

عباد الله : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿ . . . وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) آل عمران : ١٤٧ . (٢) الأحزاب : ٥٦ . (٣) العنكبوت : ٤٥ .

عقبات فى طريق الزواج

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

ما زلنا نتحدث فى محيط الشباب والفتيات ، ومشكلات هذا الجيل ، الذى منّ الله عليه بنعم كثيرة ، ومع هذا يعانى مشكلات كثيرة .

ما زلنا فى مشكلات هذا الجيل من الشباب والفتيات ، ومن هذه المشكلات ما يتعلق بالزواج ، الذى أصبح الآن - بما أدخله الناس من تعقيدات فى حياتهم - عبئًا على الظهور ، يسره الله تعالى فعسره الناس ، وبسطه الشرع فعقده المجتمع ، ووسعه الخالق فحجره الخلق .

الزواج فى نظر الإسلام قربة وشريعة ، وسنة ربما وصلت إلى الفريضة :

شرع الله الزواج ولم يشرع فى الإسلام الرهبانية ، لا رهبانية فى هذا الدين ليس فى هذا الدين اعتزال للحياة ، وانصراف عن المرأة ، واعتبارها وسيلة الشيطان كما كان فى أديان أخرى ، حيث كان الرجل يعتبر المرأة نجسًا ، ويفر منها حتى لو كانت أخته أو أمه ، كما كان يصنع الرهبان فى أوروبا فى العصور الوسطى [1] ، ليس فى الإسلام هذا .

لقد تزوج رسول الله ﷺ ، وتزوج أصحابه ، حتى قال من قال منهم : لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام ، لتزوجت فيها حتى لا ألقى الله عزبًا .

الزواج فطرة : لا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده ، لما خلق الله آدم خلق له زوجة، وقال له : ﴿ ... اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴾ [2] فلا معنى

---

(١) انظر فى ذلك ما نقله العلامة أبو الحسن الندوى فى كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟) عن عجائب الرهبان فى العصور الوسطى .

(٢) البقرة : ٣٥ ، الأعراف : ١٩ .

إذا عاش الرجل فيها بغير أنيس ، بغير من يسكن إليه ، ولهذا خلق الله لآدم زوجة ليسكن إليها .

بل الزواج فطرة من فطر الكون كله ، ليس هناك شيء إلا وله زوج ، إلا وله مكمل ، سواء كان هذا فى الحيوانات أم فى النباتات أم حتى فى الجمادات ، فى الكهرباء ، نرى الموجب والسالب ، بل فى الذرة ، العلم الحديث يقول لنا : إن فى الذرة التى هى الوحدة الصغيرة لبناء هذا الكون ، فيها شحنة موجبة وشحنة سالبة ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وإذا كان هذا هو نظام الكون ، وفطرة الكون ، فلا يبقى للإنسان أن يشذّ عن النظام الكونى ، وعن فطرة الطبيعة ، فلا بد أن يبحث عن إلفه ، وعن أنيسه ، وعن زوجه .

ومن أسرار التعبير فى اللغة العربية وفى القرآن الكريم ، أن كلا من المرأة والرجل إذا تزوجا يسمى كل منهما : زوجًا ، وكلمة (زوج) تعنى (اثنين) ، كأن كلا منهما يحمل فى ضميره الآخر ، كأن كلا منهما فى ظاهره فرد ، وفى حقيقته زوج.

الزوجية فطرة إنسانية ، وفطرة كونية :

ومن هنا حث الإسلام على الزواج ، حتى يبقى به هذا النوع ، وتستمر عمارة الحياة بهذا النوع المكرم كما أراد الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً . . . ﴾ (٢) ، وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة ، وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا، ويقول : « تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة » (٣) .

الزواج من أسباب التناسل : الذى يبقى به هذا النوع ، لا بقاء للنوع بغير هذا

---

(١) الذاريات : ٤٩ .
(٢) النحل : ٧٢ .
(٣) أورده الهيثمى فى المجمع وقال : رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، وإسناده حسن (٤/٢٥٨) .

الزواج ، ولهذا لا يرى الإسلام تلك النظرة التشاؤمية التى كانت عند بعض الفلاسفة ، وبعض الأديان التى تنظر إلى الحياة على أنها شر ، وإلى هذا العالم على أنه عالم عذاب وويلات ، وينبغى أن يتخلص الناس من هذا العالم بقطع النسل فلا يتزوجوا ، وإذا تزوجوا لا ينجبوا وهكذا .

الإسلام ضد هذه النظرة التشاؤمية ، ويرى أن هذه الحياة خير ، أرادها الله أن تعمر وأن تستمر ، ولهذا على الناس أن يتزوجوا ، ويتزوجوا الودود الولود (١) .

الزواج كذلك أساس لتكوين الأسرة ، تلك التى تتربى فيها المشاعر . . . المشاعر الطيبة ، العواطف الإنسانية النبيلة ، عواطف الأبوة والأمومة والبنوة والأخوة والرحم ، عواطف المحبة والتعاون والإيثار والرحمة والتعاطف ، فى ظل الأسرة تتكون هذه المشاعر والذى يكون الأسرة هو الزواج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ . . . ﴾ (٢) .

فى ظل الأسرة يوجد السكون والمودة والرحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً . . . ﴾ (٣) آية من آيات الله مثل خلق السموات والأرض ، مثل الآيات الكبرى فى هذا الكون ، أن ينضم رجل إلى امرأة ، وتنضم امرأة إلى رجل ، ويتكون منهما النواة الأولى والخلية الأولى لهذا المجتمع .

ثم بعد ذلك تتسع الدائرة . . . دائرة المودة ، ودائرة المحبة والألفة والتناصر والتعاون بالمصاهرة ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٤) .

---

(١) عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال ، إلا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثر بكم الأمم » رواه أبو داود ، والنسائى ، والحاكم ، واللفظ له ،وقال : صحيح الإسناد (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٥٥٣ ، الحديث ١١٠٧) .

(٢) النساء : ١ . (٣) الروم : ٢١ . (٤) الفرقان : ٥٤ .

الزواج كذلك حماية للإنسان من السقوط الغريزى ، ركب الله فى الإنسان غريزة، هى سوط يسوقه إلى بقاء النوع ، وهذه الغريزة المركبة لحكمة إلهية ، لم يأت الإسلام بمصادرتها ، فلم يأت الإسلام بما يستأصل الفطرة والغرائز ، بل بما يهذبها ويكملها ويسمو بها .

لهذا لم يسر مع أولئك الذين حرموا أى تصريف للغريزة ، واعتبروها رجسًا من عمل الشيطان ، ونظروا إليها نظرة استقذار ، ولم يطلق لها العنان كما فعل أولئك البهيميون ، الذين يعتبرون الإنسان والحيوان شيئًا واحدًا ، وليس عندهم حلال ولا حرام ، إنما وقف موقفًا وسطًا ، فحرم السفاح وأباح النكاح ، جعل هناك مصرفًا شرعيًا لهذا الغريزة بالزواج ، لا حرج على الإنسان أن يستمتع بهذه الغريزة فى حدود ما أحل الله ﴿ ... هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ... ﴾ (١) ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ... ﴾ (٢) لا حرج على الإنسان فى ذلك .

لم يضق الشرع فى هذا ، بل أباح ووسع ، ونادى النبى ﷺ الشباب عامة ، فقال : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » (٣) .

الزواج أغضّ للبصر وأحصن للفرج :

هكذا دعا الإسلام إلى الزواج ، وهكذا استجاب المسلمون الأوائل لهذه الدعوة، فيسروا وسهلوا ، وكانت أمور الزواج من أسهل ما يكون ، ولكن الناس بعد ذلك، وفى عصرنا خاصة ، عسروا ما يسر الله ، وضيقوا ما وسع الله ، شددوا على أنفسهم ولم يشدد الله عليهم ، حتى رأينا العزوبة عند الشبان ، والعنوسة عند الفتيات ، نرى شابًا بلغ الثلاثين من عمره ولم يتزوج ، ونرى فتاة بلغت الثلاثين ولم تتزوج ، ولعلها لا تتزوج بعد ذلك ، حينما يقول الناس : فاتها القطار .

---

(١) البقرة : ١٨٧ . (٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣) رواه البخارى ، ومسلم ، واللفظ لهما ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، والباءة فى اللغة : الجماع ، والمراد بها هنا : ما يلزمه من القدرة على مؤنه ونفقاته ، والوجاء : رضِ الخصيتين ، والمراد : أنه يضعف الشهوة الجنسية ، وذلك إذا داوم عليه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٥٤٩ - ٥٥٠ ، الحديث ١٠٩٥) .

لم هذا كله ؟ ما الذى حدث ؟ ما دام هناك رجال ونساء ، فتيان وفتيات ، فلماذا لا يتزوج هؤلاء من هؤلاء ؟ .

رأيت فى الجامعة - وأنا أدرس للطالبات - أعدادًا غفيرة من الفتيات غير متزوجات ، ولا ينقصهن والله الجمال ، ولا ينقصهن النسب ، ولا ينقصهن الأدب، ولا ينقصهن الدين ، ولا تنقصهن الثقافة ، لماذا لا تتزوج هؤلاء الفتيات؟ ما المشكلة ؟

المشكلة نحن الذين خلقناها ، نرجع إلى أسباب هذا فنجد الناس قد وضعوا عقبات كثيرة فى سبيل الزواج .

هناك عقبات مادية ، عقبات اجتماعية ، عقبات نفسية .

هناك عقبات مادية : لا يستطيع الشاب أن يتزوج إلا أن يكون الشاب صاحب مال، ومال وفير ، فالشاب المتخرج الذى يقف على أول السلم ، لا يستطيع أن يوفر ما يطلب منه ، وما يطلب منه كثير ، من الذى صنع هذا الكثير ؟ الشرع لم يصنعه ، إنه فى حاجة إلى مهر يدفعه ، والناس يغالون فى المهور ، ويتباهون بها ، المفاخرة والمكاثرة ، والرياء الاجتماعى الزائف ، بنت فلان دفع إليها كذا ، وهذه بذل لها كذا ، كأن هذا أصبح مقياس القيمة للإنسان ، أو الدخول فى الجنة ، ما قيمة هذا كله ؟! وفى الحديث الشريف : « خير الصداق أيسره » [(١)] ، «من يمن المرأة تيسير خطبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها » [(٢)] . وقد خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الصحابة يومًا فقال : « ألا لا تغْلوا صدق النساء ، ألا لا تغلوا صدق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا ، أو تقوى عند الله ، لكان أولاكم بها النبى ﷺ ما أصدق رسول الله امرأة من نسائه ، ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من ثنتى عشرة أوقية » [(٣)] ، والأوقية - أربعين درهمًا .

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم عن عقبة بن عامر ، كما فى الصحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٢٧٩) .

(٢) أورده الهيثمى فى المجمع (٤/ ٢٥٥) وقال : رواه أحمد وفيه أسامة بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) رواه أحمد فى مسند عمر بأرقام (٢٨٥) و(٢٨٧) و(٣٤٠) وقال الشيخ شاكر : بإسناده =

أجل ، لم يزوج النبى ﷺ بناته على شىء كثير ، فاطمة بنت محمد ﷺ ، سيدة نساء العالمين ، تزوجت على ماذا ؟ على درع قدمها إليها على بن أبى طالب ! وماذا تصنع فاطمة الزهراء بالدرع ؟! هل تحارب بها ؟ إنها شىء رمزى .

سعيد بن المسيب سيد التابعين وأفقههم كما يقول أحمد بن حنبل يرفض أن يزوج ابنته من ابن الخليفة (١) ، ويزوجها لأحد طلاب العلم فى حلقته ، قال له : يا ابن أبى وداعه ، ماذا عندك ؟ قال : والله ما عندى إلا درهم ، قال : قد زوجتك ابنتى بدرهم !

نعم ، زوجه ابنته بدرهم ، لأنه كان يريد لها رجلاً صالحًا لم يكن الناس يتباهون بما يتباهى به الناس الآن ، لم هذا ؟

وليت الأمر يقف عند المهر وغلائه ، إنه فى حاجة إلى هدايا ، فى حاجة إلى ذهب يقدمه .

بعض البلاد هناك (شبكة) أو (تلبيسة) ، وبعض البلاد هناك ذهب . . . مصوغات تقدم ، معظمها أشياء لا تلبس ، لأنها بأحجام كبيرة ، وأوزان ثقيلة ، وأشكال قديمة ، لا تلائم ذوق هذا العصر ، حتى إنه قد كثرت على الأسئلة عن هذا الحلى : هل يزكى أو لا يزكى ؟ لأن المرأة لا تلبسه إلا للتباهى فقط ، هو شىء لا يلبس ، ولكن تتباهى بأن عندها الشىء الكثير قدم لها فى عرسها ، لم هذا ؟ لماذا نضيق على أنفسنا ونشدد ؟

الأحفال والولائم التى تقام للعرس ، وقبل العرس ، وبعد العرس ، وتذبح فيها الذبائح ، ويؤكل قليلها ، ويلقى فى سلات المهملات و(الدرامات) كثيرها ، وبلاد أخرى تتضور من الجوع فلا تجد اللقمة ، لم هذا ؟ شدد الناس على أنفسهم ، تراهم يقيمون حفلاً للخطبة ، وحفلاً لعقد القرآن ، وحفلاً للزفاف ، ما هذا كله يا عباد الله ؟!

= صحيح كما رواه أبو داود (٢١٠٦) ، والنسائى (٦/ ١١٧) ، والترمذى وقال : حسن صحيح (١١١٤) ، والحاكم وصححه (٢/ ١٧٥ ، ١٧٦) .

(١) هو عبد الملك بن مروان ، خطبها لابنه الوليد حين ولاه العهد .

ثم بعد ذلك يأتى البيت ، وتأثيث البيت ، لا بد من أن تكون هناك شقة مفروشة بأحدث الأثاث ، أو (فيلا) ، أو ما شابه ذلك .

ثم بدعة جديدة اخترعها الناس بعد الزواج : ما سموه (شهر العسل) والسفر إلى الخارج لقضاء شهر العسل ! تكاليف جديدة أضافها الناس ، هى فى النهاية آصار وأغلال فى أعناقهم ، وعقبات فى طريقهم .

كل هذا يعقد الأمور ، ويزيد من صعوبتها ، وما طلب الله منا ذلك ، ولا كلفنا الشرع ذلك ، نحن الذين شددنا على أنفسنا ، ولهذا ينتظر الشاب حتى يمكنه أن يوفر ما يطلب منه ، وربما استدان ، والدين هم بالليل ، ومذلة بالنهار ، أو ربما ذهب إلى البنك يستقرض منه بالربا فيأذن من أول زواجه بحرب من الله ورسوله ، لم هذا ؟ عقبات نحن الذين أنشأناها ووضعناها ، عقبات مادية لا معنى لها .

عقبات اجتماعية : هناك اعتبارات عند كثير من الناس . . . يتقدم إليهم الشاب فيرفضونه ، لم هذا ؟ هذا لأنه من أسرة دون الأسرة ، أو طبقة دون الطبقة ، أو كذا وكذا ، معايير ما أنزل الله بها من سلطان .

إن لكل عصر معاييره ، هناك من الفقهاء من قال بالكفاءة فى النسب والحسب والحرفة وغير ذلك ، ولكن هناك من رفض هذا كله وقال : ﴿ . . . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ . . . ﴾ (١) ، المقياس هو الدين والخلق ، والنبى ﷺ يقول : «إذا أَتاكم مَن ترضون خلقه ودينه فزوّجوه ، إن لا تفعلوا ، تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض» (٢) وكانوا يقولون : (إذا زوجت ابنتك فزوجها ذا دين ، إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها) لأنه يخاف الله فيها ، فهو يعاشرها بمعروف أو يسرحها بإحسان ، ولا ينس الفضل فيما سبق .

هذا هو الإنسان المؤمن ، هذا هو الذى ينبغى أن يحرص عليه .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، عن أبى هريرة ، ورواه ابن عدى عن ابن عمر ، ورواه الترمذى أيضًا ، والبيهقى فى السنن ، عن أبى حاتم المزنى ، ورمز له السيوطى فى (الجامع الصغير) بالصحة .

والذين قالوا بالكفاءة من الفقهاء ، قالوا : إن العالم كفء لبنت السلطان ، لأن العلم يرفع صاحبه ، ويعلى من قدره ، لأنه إذا وقف الأمر عند الحسب والنسب ، معنى هذا أننا أصبحنا طبقات كطبقات الهنود ، لا يستطيع أحد أن يرتقى من طبقة إلى طبقة والإسلام يرفض ذلك .

يستطيع الإنسان بعلمه وعمله أن يرتقى إلى أعلى الدرجات فى المجتمع المسلم ، وهذا ما رأيناه منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم .

كان عطاء بن أبى رباح الفقيه التابعى رجلاً أسود اللون ، أفطس الأنف ، أعرج الرجل ، قصير القامة ، ولكنه جلس بجوار سليمان بن عبد الملك [1] فى الحج ، يفتى الناس فى المناسك ، قالوا : إنما رفعه العلم .

العلم أجلسه بجوار الخلفاء :

والعلم يرفع بيتًا لا عمـــــاد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

ينبغى أن نعيد النظر فى معاييرنا ، فالمهم هو سعادة بناتنا وأبنائنا لا يجوز أن نتحجر على مقاييس قديمة ، فالزمن يتغير ، والحياة تتطور ، والأنظار تختلف ، والله تعالى يقول : ﴿ وَأَنكِحُواْ الأَيَامَى منكُمَ [أى زوجوهم] وَالصَّالحينَ منْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ، إِن يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

لا بد لنا من هذه النظرة ، حتى لا تقف هذه المعايير أحجار عثرة فى سبيل حياة سعيدة لأبنائنا وبناتنا .

هناك عوامل نفسية عند بعض الشباب ، وعند بعض الفتيات أنفسهن :

بعض الفتيان يضع أمام عينيه مثالاً يحلق فى خياله ، يرسم امرأة مثالية يريدها زوجة له ، موصوفة بكل جمال وكمال ، وهذا لا يوجد فى واقع الحياة .

---

(١) هو أحد كبار خلفاء بنى أمية ، أخرج الخلافة من أولاده وعهد بها للخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

(٢) النور : ٣٢ .

الحياة قلما نجد فيها الكمال المطلق ، فامرأة عندها الجمال ، وأخرى عندها المال ، وأخرى عندها النسب ، أما أن يوجد فيها كل شيء ، فقلما يجتمع فيها هذا .

ولذلك أوصانا النبى ﷺ فقال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١) ، « الدنيا كلها متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » (٢) ، صاحبة الدين هى التى تسرك إذا نظرت ، وتطيعك إذا أمرت ، وتحفظك إذا غبت ، وتخاف الله فى عرضك وولدك ومالك : ﴿ . . . فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ . . . ﴾ (٣) .

وكثير من الذين يحلقون وراء هذه الأحلام والمثاليات ، قلما يحققون ما ينشدون .

أعرف قريبًا لى ، كان يريد فيمن يتزوجها أن تكون موصوفة بالحسن والجمال ، بل رائعة الحسن والجمال ، كثيرة الغنى والمال ، ذات حسب ونسب ، ذات علم وثقافة ، ولكنه للأسف حينما تزوج ، تزوج امرأة ليس فيها شرط واحد من هذه الشروط ، مع أنه عاش سنين طويلة يبحث عن مثاله الخيالى .

● لا داعى لهذه الخيالات والمبالغات :

على الشاب أن يبحث عن ذات الدين ، عن المرأة الصالحة التى تحفظه وتصونه ، ويستطيع أن يعيش معها حياة سعيدة ، لا يهمه أن تكون فقيرة فى المال ، إذا كانت غنية بالأخلاق ، وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها : « تزوجوا النساء يأتينكم بالأموال » (٤) .

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٥٥٢ ، الحديث ١١٠٦) ،وقوله : « تربت يداك » معناه : الحث والتحريض ، وقيل : هو دعاء له بكثرة المال ، أى اظفر بذات الدين ، ولا تلتفت إلى المال ، أكثر الله مالك .

(٢) رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائى عن ابن عمر ، ومسلم أيضًا ، عن ابن عمر ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٣٤١٣) .

(٣) النساء : ٣٤ .

(٤) قال الهيثمى (٤/٢٥٥) رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، خلا مسلم بن جياد - ولعله جنادة - وهو ثقة .

بعض الشباب يتشددون فى أمور لم يشدد فيها الشرع ، كأن يقول : إننى لا أريد فتاة تعمل ، ولا حرج فى العمل .

لا حرج أن تعمل الفتاة فى أمر مباح ، كأن تعمل مدرسة فى مدارس البنات ، أو تعمل طبيبة فى مكان ليس فيه اختلاط ممنوع ، مثل هذا لا مانع منه [1] .

لماذا يتشدد بعض الشباب أكثر مما يلزم ، وقد قصّ علينا القرآن قصة تلك الفتاتين اللتين رآهما موسى عند ماء مدين : ﴿ . . . قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ، قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا . . . ﴾ [2] كانتا ترعيان الغنم ، وتذهبان بها إلى حياض المياه ، لأن أباهما شيخ كبير ، ولا بد للأسرة أن تعيش ، الحياة تحتاج إلى معاونة .

بعض الشباب يخاف من الفتاة المثقفة ، ويقول : لا أتزوج فتاة جامعية ، لماذا ؟ لا يخاف من الجامعية إلا أحد اثنين : إما شاب ضعيف الشخصية ، يخاف من هذه المثقفة المتعلمة أن تحدثه وتسائله ، ولا تكون كما مهملاً فى البيت ، وإما شاب يريد أن ينحرف فهو يريد المرأة التى لا تستطيع أن تحاسبه ، ولا أن تقيد عليه حركاته وسكناته .

أما الشاب المستقيم ، الشاب القوى ، فلا يضيره أبدًا أن يتزوج المتعلمة ، بل المتعلمة تنفع زوجة ، وتنفع أمًا ، تكون نعم المربى لأولادها وبناتها ، تستطيع أن تساعدهم فى مدارسهم ، وفى أداء واجباتهم المدرسية والمنزلية .

هناك عقبات نفسية عند الشباب ، وعند الفتيات أيضًا :

بعض الفتيات أيضًا يحلقن ، يرون فارس أحلام بأوصاف غير معقولة ، وقلّما يأتى هذا ، وبعض الفتيات تشترطن أن يكون لهن كذا وكذا ، وتريد سيارة (مرسيدس ٢٨٠)، و(فيلا) موصوفة بكذا وكذا ، وأثاث كذا وكذا ، وخادم كذا وكذا ، ما هذا ؟

إن فاطمة بنت محمد ﷺ ، تزوجت على بن أبى طالب ، ولم يكن فى بيتها

---

(١) راجع فتوى الشيخ القرضاوى : (عمل المرأة) فى الجزء الثانى من (فتاوى معاصر) ص ٣٠٣ - ٣٠٦ .

(٢) القصص : ٢٣ ، ٢٤ .

موقد كهربائى ، ولا غسالة أتوماتيكية ، ولا مكنسة كهربائية ، كانت تكنس البيت بيديها ، كانت تدير الرحا بيديها فما كانت عندهم مطاحن ، كانوا يأخذون الشعير ويطحنونه على الرحا ، حتى يصبح دقيقًا خشنًا ، فتأخذه وتعجنه وتخبزه ، وكانت تحمل قربة الماء على كتفها ، حتى أثر ذلك فى يديها ، وذهبت هى وزوجها إلى النبى ﷺ يشكوان ، يريدان خادمًا ، فقال النبى ﷺ لهما : « ألا أدلكما على ما هو خير من خادم » ؟ قالا : بلى يا رسول الله ، قال : « عندما تأويان إلى النوم تسبحان الله ثلاثًا وثلاثين ، وتحمدانه ثلاثًا وثلاثين ، وتكبرانه أربعًا وثلاثين ، فهذا خير لكما من خادم » (١) ، نصحهما أن يستعينا على هذا التعب والمعاناة بالقوة الروحية ، بذكر الله عز وجل ، ولم يعطهما الخادم .

لماذا تريد المسلمة حياة الرفاهية ؟ ما أجمل أن تكون معوانًا لزوجها ، وأن تعمل فى بيتها ، وأن تكافح معه حتى يرتقى السلم إلى أعلى درجاته .

لماذا تريد إنسانًا - من أول الأمر - غنيًا ذا مال ؟ والله أعلم هذا المال من حلال أو من حرام ؟

لتبدأ درجات السلم من أوله مع فتى أحلامها ، مع زوجها هذا ، وتعيش حياة كفاح وعناء ، كما عاشت نساء المسلمين فى الزمن الأول : فاطمة الزهراء ، وأسماء ذات النطاقين ، وغيرهما من نساء الصحابة (٢) .

يا أيها الإخوة ، ويا أيتها الأخوات . . .

هذا هو ديننا ، ديننا جاء بالتيسير ، فما لنا نلجأ إلى التعسير ؟ ديننا جاء بالتوسيع ، فلماذا نلجأ إلى التضييق ؟ ديننا خفف عنا ، فلماذا نشدد على أنفسنا ؟

علينا أن ندرك هذا ، ونعلم أبناءنا وبناتنا هذا ، حتى نحل تلك العقدة ، وحتى يتزوج الشبان والشابات ، بدل أن يلجأ الشباب إلى طرق تعرفونها ، يجدون الحرام

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن على رضى الله عنه ، أنظر (اللؤلؤ والمرجان ، حديث ١٧٣٩) .

(٢) انظر كتاب (نساء المؤمنات) للأستاذ القرضاوى .

فيها ميسرًا هنا وهنالك ، أو بدل أن يلجأ إلى الزواج من أجنبية ، ويدع ابنة بلده ، وأقرب الناس إليه .

هذا هو الإسلام ، فإذا أردنا الخير كل الخير ، والسعادة كل السعادة ، فلا بد أن نرجع إلى هذا الدين ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، إنه سميع قريب .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد : فقد ورد أن فى يوم الجمعة ساعة إجابة ، ولعلها تكون هذه الساعة .

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، ﴿ . . . رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٢) ، ﴿ . . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) . اللهم آمين ، وأقم الصلاة .

* * *

---

(١) الحشر : ١٠ . (٢) الفرقان : ٧٤ . (٣) آل عمران : ١٤٧ .

المسلمون فى مواجهة القوى المعادية [1]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

حديثنا اليوم عن المسلمين فى مواجهة القوى المعادية والتيارات الغازية .

مر على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه سادة العالم ، وقادة الدنيا ، سادوه بالإيمان والقرآن ، وقادوه بالعلم والإحسان ، حكموا فعدلوا ، واؤتمنوا فأدوا ، وكانوا للدنيا هداة خير ، ودعاة رشد .

ذهبت جيوشهم إلى كل مكان ، المصحف فى يد ، والسيف فى يد ، لا يكرهون أحدًا على الدخول فى دينهم ، ولكن ليحقوا الحق ، ويبطلوا الباطل ، ويقفوا مع الضعيف ضد القوى ، ومع المظلوم ضد ظالمه .

كانت لهم حضارة شامخة الذرا ، جمعت بين العلم واليقين ، ووصلت الأرض بالسماء ، وربطت الدنيا بالآخرة ، ووفقت بين العقل والقلب ، بين المادة والروح ، بين حق الفرد ومصلحة المجموع .

كانت كتب المسلمين تدرس فى جامعات العالم ، كان علماء المسلمين أشهر أسماء أهل العلم فى الدنيا ، كانت اللغة العربية لغة العلم فى كل أقطار العالم .

بلغ من مجدنا أن جلس أحد الخلفاء [2] يومًا ينظر إلى السحابة فى السماء ويقول لها : شرقى أو غربى فسيأتى ثمرة خراجك إلى بيت مال المسلمين .

هكذا كنا ، حتى جاء هذا العصر ، ودار الفلك دورته ، وإذا بنا نصبح فى

---

(١) ألقيت هذه الخطبة فى أحد جوامع الكويت ، وأذيعت من الإذاعة والتليفزيون ، وذلك بعد الإعلان - فى مؤتمر المصارف الإسلامية المنعقد بالكويت - عن ضرورة تأسيس منظمة إسلامى أو هيئة إسلامية عالمية ، للوقوف فى وجه الغزو التنصيرى الذى يهدد العالم

(٢) هو (هارون الرشيد) خامس الخلفاء العباسيين .

المؤخرة ، بعد أن كنا فى المقدمة ، نصبح وراء الأمم بعد أن كنا فى مأخذ الزمام من القافلة ، أصبحنا نسمى العالم الثالث أو البلاد النامية ، وهو تعبير ملطف للبلاد المتخلفة .

ولم يكف هذا ، بل طمعت فينا كل القوى ، طمع فينا من لا يدفع عن نفسه ، وغلبنا كل مغلب ، وأصبحنا نهب الطامعين والناهبين من الشرق ومن الغرب .

كل القوى وكل الجبهات تألبت علينا ، وتكالبت علينا ، تختلف فيما بينها ، ولكن إذا كنا نحن العدو اتفقت كلمتها جميعًا ، وهذا ما قاله فقهاؤنا من قبل : (الكفر كله ملة واحدة) ، بل هذا ما قاله الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .

جبهات الكفر جميعًا كلها تألبت علينا : الجبهة الشيوعية التى لا تؤمن بالله ، ولا تؤمن بالوحى ، ولا تؤمن بالآخرة ، ولا تؤمن بدين من أديان السماء ، وتقول: ليس صحيحًا أن الله خلق الإنسان ، بل الصواب أن الإنسان هو الذى خلق الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرًا .

هذه الجبهة لا تكتفى بأن تغزونا من الداخل بواسطة أحزابها وعملائها ودعاتها وأدعيائها ، بل غزتنا من الخارج ، غزتنا بقوة السلاح ، ودخلت جحافلها بلدًا مسلمًا ما زال يعانى من آثار الغزو ، ويقاتل بكل ما يستطيع ، ذلكم هو أفغانستان(٢) .

---

(١) الأنفال : ٧٣ .

(٢) كان ذلك فى ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ م ، وفى ١٣ فبراير (شباط) ١٩٨٩ م تم انسحاب جميع القوات السوفياتية من أفغانستان ، بعد الهزائم والخسائر التى منيت بها على أيدى المجاهدين الأبطال ، ثم كان فتح (كابل) ودخول المجاهدين إليها فى إبريل (نيسان) ١٩٩٢ م .

لكن الفرحة التى امتلأت بها صدور المؤمنين بدخول كابل ، والإعلان عن تشكيل حكومة المجاهدين لم تكتمل ، بسبب هذا الاقتتال الدامى الذى نشهده بين بعض قادة المجاهدين وفصائلهم هناك ، ولا نملك إلا أن ندعو الله عز وجل ، أن يوحد كلمتهم ، ويلم صفوفهم ، ويحقن دماءهم ، ويأخذ بأيديهم إلى الاعتصام بحبله ، امتثالاً لقوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ =

الجبهة اليهودية . . . اليهود الذين عاشوا متفرقين فى أنحاء العالم ، ولم يجدوا لهم صدرًا حنونًا إلا فى ديار الإسلام ، فى بلاد المسلمين ، وفى ظل دار الإسلام ، عاشوا آمنين مطمئنين ، يكسبون المال ، ويكسبون الغنى ، وتكون لهم المكانة ، هؤلاء التفوا على المسلمين أخيرًا ، ولم يرضوا أن تكون لهم دولة إلا فى قلب ديار العروبة والإسلام .

وقامت (إسرائيل) تغتصب أرضنا ، وتخرج أهلها من ديارهم ، وتقيم دولة على أساس دينى ، ولذلك سمتها : (إسرائيل) .

جاء اليهود من أنحاء متفرقة ، ومن أوطان شتى ، ولم يجمعهم جامع إلا الدين . . . إلا التوراة . . . وإلا أحلام ، ونبوءات دينية فى أسفارهم المقدسة ، ولم يكتفوا بهذا . . . لم يكتفوا بأن يقيموا دولة يطردون أهلها من أرضهم ، ليعيشوا عليها ، حتى ناوشوا كل من حولهم ، واقتطعوا أراض أخرى ، وما زالت لهم أطماع وأطماع ، ولعلنا نقرأ فى هذه الأيام ما يكتبه المفكر الفرنسى الذى هداه الله إلى الإسلام : (رجاء جارودى) [1] ، وتنشر صحف القاهرة وصحف الكويت كلام هذا المفكر عن أحلام الصهيونية وأباطيلها ، وأنّ لهم أحلامًا أخرى غير هذه الأحلام، إنهم يقولون : إن ملك (إسرائيل) من الفرات إلى النيل ، إنهم يخططون لتقسيم البلاد العربية حولهم ، حتى يطمئنوا على وجودهم ، فهم يحلمون بتمزيق سوريا ، وتمزيق مصر ، يريدون أن يقيموا فيها دولة للنصارى فى الصعيد ، كما رأيتم فى صحف اليوم ، بل حتى دول الخليج يحلمون بتمزيقها ، ولا تقولوا : هذه أحلام وأمانى ، فكثيرًا ما رأينا الأحلام والأمانى انقلبت إلى واقع ونحن لا نفعل شيئًا .

= جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وقوله : ﴿ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ . . . ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(١) كان عضوًا بارزًا فى الحزب الشيوعى الفرنسى ، وبعد رحلة طويلة ومطالعات مستمرة ، ودراسات للحضارات والأديان ، شرح الله صدره للإسلام ، حيث أعلن إسلامه فى رمضان عام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م بـ (جنيف) . . وانظر الدراسة التى أعدها محمد عثمان الخشت بعنوان: (لماذا أسلمت ؟) .

اليهود الذين هم أبخل الناس ، وأجبن الناس ، يقاتلون عدة دول وينتصرون ، ويبذلون المال بالملايين والبلايين ، هذا ما حدث أيها الإخوة .

الجبهة النصرانية تعمل لنشر دينها فى أنحاء العالم ، فى أقطار شتى ، ومنها أقطار الإسلام ، الكاثوليكية تملك ما لا يقل عما تملكه دولة عظمى فى أنحاء العالم ، وتمول به جيشًا جرارًا من المبشرين والمبشرات ، والرهبان والراهبات ، وتعمل على تنصير المسلمين فى العالم .

فى أندونيسيا أكبر بلد إسلامى أكثر من خمسين مطارًا للإرساليات التبشيرية ، وهم يخططون لتنصير أندونيسيا فى خمسين عامًا ، فى إفريقيا . . . فى نيجيريا رأينا من المسلمين من تركوا دينهم ، وخاصة من الفقراء ، واليتامى الذين لا يجدون راعيًا ، فى الصومال ثلاثون ألف طفل ممن شردوا ، ومات آباؤهم وعائلوهم فى الحرب والكوارث ، تبناهم مليونير بليجيكى كاثوليكى ، هل تبناهم لوجه الله تعالى ؟ أم لينشئهم على عقيدته ؟ هل منا من استجاب للنداء ، وقال : أنا أتبنى هؤلاء ؟ مسؤولية هؤلاء فى عنق من ؟ إثم هؤلاء فى عنقنا نحن جميعاً .

وليست الجبهة الكاثوليكية هى التى تعمل فقط ، بل البروتستانتية تعمل أيضًا ، فى سنة ١٩٧٨ م اجتمع مائة وخمسون مبشرًا أمريكيًا فى ولاية (كلورادو) ، وبحثوا أحوال المسلمين فى أربعين بحثًا قدم لهذا المؤتمر - الذى يطلق عليه البعض : (مؤتمر حكماء كلورادو) تشبيهًا (لمؤتمر حكماء صهيون) - وقرروا العمل على تنصير المسلمين فى العالم ، ورصدوا لذلك (ألف مليون دولار) ، وهذا أمر ليس خفيًا ، بل هو منشور فى كتب يقرأها المسلمون ، وتحدثت عنها المجلات والصحف .

ولا نلوم القوم على حماسهم لنشر دينهم ، إنما نلوم أنفسنا لأننا تقاعسنا عن نشر ديننا ، بل تقاعسنا عن الدفاع عن شخصيتنا ، بل تقاعسنا حتى أصبح المسلمون يغلبون من كل جانب ، وتنتقص أطرافهم ، وتؤخذ أرضهم ، وتنتهك حرماتهم ، وينصرّ أبناؤهم .

وهناك الجبهة الوثنية التى تحاربنا أيضًا ، ولعلكم سمعتم عن الآلاف الذين ذبحوا

فى ولاية (آسام) الهندية ، ماذا جنى هؤلاء ، كل ذنبهم أنهم يقولون (لا إله إلا الله) ، ولا يعبدون البقر ، ما ذنب هؤلاء حتى يقتلوا ويذبحوا ذبح النعاج ؟ بل إن الذين يذبحونهم لا يذبحون النعاج ، لأنهم يعتقدون أن أى ذى روح حرام قتله ، ولا يجوز ذبحه .

إنهم يتركون الفئران تأكل القمح ، ولا يستعملون المبيدات الحشرية حتى لا يقتلوا ذا روح ، كنا ننزل الفنادق فلا نجد أى مادة يمكن أن نقتل بها البعوض ، لأن قتل البعوض لا يجوز ، وقتل أى ذى روح لا يجوز ، الدم الوحيد الذى يجوز سفكه هو دم المسلمين .

لقد أصبح الدم الإسلامى أرخص دم فى العالم ، المسلمون يقتلون ويذبحون فى كل مكان ، ولا يبدو من يغيثهم ، هذا ما حدث للمسلمين مع الأسف ، فأين الألف مليون مسلم ؟ المسلمون ألف مليون أو تزيد ، مليار منتشرون فى القارات الخمس فأين هم ؟ لماذا لا يدافعوا عن أنفسهم ؟

لقد قال رجل ممن قرأ عن الإسلام وأعجب بتعاليمه : (يا له من دين لو كان له رجال) ، فأين الألف مليون ، أليسوا رجالاً ؟ أين الذين ينسبون إليه ؟ ويحسبون عليه ؟ أين هم ؟ إننا نجدهم ما بين مشغول بنفسه ، لا يهمه أمر غيره ، و« من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم . . . » [1] أين هؤلاء من قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . . ﴾ [2] ؟ أين هؤلاء من قول الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . . . ﴾ [3] ، أين هؤلاء من قول رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه . . . » [4] ؟ أى لا يظلمه ، ولا يتركه يظلم ويؤذى ، ويهان ، دون أن يقدم له شيئًا .

---

(١) الحديث عن حذيفة بن اليمان ، رواه الطبرانى من رواية عبد الله بن أبى جعفر وهو مختلف فيه ، وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٥١٤ ، الحديث ٩٩٧) ، وتتمة الحديث : « ومن لم يصبح ويمسى ناصحًا لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولإمامه ، ولعامة المسلمين ، فليس منهم » .

(٢) الحجرات : ١٠ .

(٣) التوبة : ٧١ .

(٤) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود واللفظ له ، والترمذى وقال : حديث حسن =

المسلمون ما بين مشغول بنفسه ومصلحته الشخصية ، وما بين تائه لا يعى حجم المأساة التى يعيشها المسلمون ، يشغل نفسه بتوافه الأمور ، ويقيم معارك من أجل أمور سطحية فى الدين ، وقد ترك الصلب ، وترك القضايا الكبرى المصيرية ، وترك أمته تصطلى بنار الهزائم والنكسات والمصائب وهو لا يفعل شيئًا .

وهناك من يعى حجم المأساة ولكنه يائس ، ألقى السلاح وقال : لا فائدة من الكفاح ، كتب علينا الهوان ، وهذا لا يتفق مع طبيعة الإيمان ، فـ : ﴿ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ ﴾ (٢) .

وهناك إناس لم يكتفوا بالصمت والسكوت ، ولكنهم ذهبوا يمزقون الصفوف ، ويثبطون الهمم ، ويذكون نار الفتن بالوقود ، حتى تظل مشتعلة ، تأكل اليابس والأخضر .

يا أيها الإخوة : إن المسلمين قادرون على أن يحتفظوا بشخصيتهم ، قادرون على أن يكون لهم مكانهم تحت الشمس ، قادرون على أن يكونوا أمة قوية كما أراد الله لهم : ﴿ . . . أُمَّةً وَسَطًا . . . ﴾ (٣) ، وعندهم من الطاقات والإمكانات ما يغنى.

عندهم الكثرة العددية . . . الألف مليون ، والكثرة نعمة كما قال الله تعالى : ﴿ . . . وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ . . . ﴾ (٤) ، هذه الكثرة تستطيع أن تفعل الكثير لو وجدت من يوظفها ، ومن يفجر ما فيها من إمكانات .

= صحيح غريب (المنتقى : ٢/٦٤٧ ، الحديث ١٣٨٦) ، وتتمة الحديث : « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » .

(١) يوسف : ٨٧ .
(٢) الحجر : ٥٦ .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . . ﴾ [البقرة : ١٤٣] .
(٤) الأعراف : ٨٦ .

والمسلمون يملكون القوة المادية ، عندنا من الثروات المذخورة فى باطن الأرض ، ومن الثروات المنشورة على ظاهرها ، عندنا من الرصيد النقدى ، عندنا من موقعنا الجغرافى ، عندنا من كل ذلك الشىء الكثير .

ونملك - قبل ذلك كله - القوة الروحية ، لأننا وحدنا نملك الرسالة الخالدة ، رسالة محمد ﷺ التى بعثه الله بها لينقذ العالم ، ويكون رحمة للعالمين ، عندنا رسالة الشمول والتوازن التى لا يمكن أن يشفى الدنيا من أدوائها غيرها .

كل ما فى الأمر أننا نحن المسلمين حجاب حاجزعنها ، ينظر الناس إلى الإسلام من خلال المسلمين ويقولون : أين أثر الإسلام فى هؤلاء ؟

نحن نملك الوثيقة السماوية الوحيدة المنزلة من السماء إلى الأرض ، التى لم يعترها تحريف ولا تبديل ، نملك القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نحن نملك تراثًا حضاريًا عريقًا ممتدًا إلى أربعة عشر قرنًا من الزمان نحن نملك من القوى والإمكانات ما هو جدير بأن يجعلنا فى المقدمة وفى الطليعة ، ولكننا لا نستغل طاقاتنا ، غافلون لاهون متفرقون متنافرون ، فمتى نعود إلى ديننا ، نستمسك بعراه ، ونهتدى بسناه ، ونسير خلف رسول الله ﷺ ، نقتدى بسنته ، ونسير بسيرته ؟

إن الإسلام وحده هو سفينة الانقاذ ، هو حبل النجاة ، لو وعيناه حق الوعى ، وفهمناه حق الفهم ، كما أنزل الله على رسوله ، وكما فهمه أصحابه وتابعوهم بإحسان .

نريد الإسلام الحق ، الإسلام شاملاً بلا تجزئة ، خالصًا بلا شركة ، سالمًا من الشوائب والزوائد والفضول التى ألحقت به على مر العصور وليست من صلبه ، نريد العودة إلى هذا الإسلام ، ويوم نعود إليه ثقوا أننا سنقود الدنيا بزمام ، وسيعود لنا شأننا من جديد .

إن للإسلام لدولة وظهورًا ، وإقبالاً قبل قيام الساعة ، وإننا لننتظر هذا اليوم الذى تنطلق فيه أنوار الإسلام فى كل مكان ، وتخفق فيه رايات هذا الدين فى آفاق الدنيا كلها ، إننا لننتظر هذا اليوم : ﴿ . . . وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، يقول رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ، قائمة على أمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس » (٢) .

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

إن الجبهات المعادية للإسلام تصنع ما يمليه عليها حماسها لعقائدها ودينها ، فماذا صنعنا نحن أمام هذه الجبهات والتحديات ؟ ماذا صنعنا ونحن نملك الكثير ؟

كما قلت لكم إننا قادرون على أن نرصد لديننا كما رصد بعض هؤلاء لدينهم ، إذا كان المبشرون الأمريكان قد رصدوا (ألف مليون دولار) لتنصير المسلمين فى العالم ، فلماذا لا نرصد نحن مثلها ؟ لماذا لا نرصد (ألف مليون دولار) لحماية المسلمين فى العالم ؟ لانقاذ المستضعفين ، لإيواء المشردين ، لرعاية اليتامى وأبناء السبيل ، لإطعام الجائعين ، لهداية الحائرين ، لتشغيل العاطلين ، لتعليم الأميين .

المسلمون فى العالم فى حاجة لأى معونة ، لقد طفت كثيرًا من بلاد العالم الإسلامى ، وزرت كثيرًا من الجاليات والأقليات المسلمة خارج العالم الإسلامى ، فوجدت هناك من يحتاج إلى اللقمة ، هناك من يموت جوعًا ولا يجد ما يسد

---

(١) التوبة : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) رواه أحمد والشيخان عن معاوية ، وروى الحديث بألفاظ مختلفة عن عدد من الصحابة فى الصحيحين أو أحدهما أو كتب السنة الأخرى : عن المغيرة ، وثوبان ، وأبى هريرة ، وجابر ، وعمران بن حصين ، وعقبة بن عامر ، وقرة بن إياس ، انظر : الجامع الصغير وزيادته : الأحاديث من (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦) .

جوعته ، وهناك من يموت من البرد ولا يجد من يستر عورته ، هناك مدارس زرتها تحتاج إلى الكراسة وإلى القلم فلا تجده ، بينما الكنيسة تمد المدارس الإرسالية والتبشيرية بالآلاف من الكتب والكراسات والأدوات ، وتقول للمسلمين : ما عليكم إلا أن تحضروا مع هؤلاء ونحن نمدكم بكل شيء ، وجدت هذا أيها الإخوة .

فى بعض البلاد وصلت المجاعة بأهلها إلى أن كان الكلب والإنسان يتصارعان من شدة الجوع ، يريد كل منهما أن يصرع الآخر حتى يأكله ، وصل الأمر فى بعض بلاد الإسلام إلى هذا الحد ، فماذا صنعنا نحن ؟ نحن الذين أفاء الله علينا من رزقه، ووسع علينا فى العيش ، وأفاض علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، ماذا صنعنا ؟

اليهود الذين عرفوا فى التاريخ بالبخل والشح ، إذا نزلت بإسرائيل ضائقة ، ذهب (بيجن) وأمثاله إلى يهود أمريكا ، وعاد بمئات الملايين فى أيام معدودات ، فماذا صنعنا نحن المسلمون ؟

الفكرة التى أطرحها عليكم وعلى المسلمين فى العالم ، وقد طرحتها من قبل فحمّلنى المسلمون أن أبلغها إلى كل مكان أذهب إليه ، وأولى هذه الأماكن هذا البلد الذى منّ الله عليه بالكثير ، والذى نرى فيه تيارًا إسلامياً قويًا ، واتجاهًا إلى الإسلام فى سائر النواحى ، هذه الفكرة هى : أن نجمع (ألف مليون دولار) [1] .

إن فى الكويت أموالاً لو دفعت زكاتها لكان هناك : (ألف مليون دولار) (أربعون ألف مليون دولار) زكاتها : (ألف مليون) ربع العشر ، ولو أن المسلمين فى أنحاء العالم دفع كل واحد منهم (دولارًا) لأنقذ ذلك بقية المسلمين .

كان اليهود يقولون فى الأربعينات : ادفع دولارًا تقتل عربيًا ، ونحن نريد أن نرفع شعارًا يقول : ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا ، ولكن من ينادى المسلمين ؟ ليس عندنا

---

(١) انظر (قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث ص ١٣٥ - ١٤٧) للأستاذ القرضاوى حفظه الله ، لتعرف كيف بدأت هذه الفكرة وما دورها ؟ كما دعا المسلمين أن يشدوا أزر الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - التى تسعى جاهدة لتحقيق هذه الفكرة - ويقفوا بجانبها فى عدد من كتبه مثل : (لقاءات ومحاورات ص ١٥٦ - ١٥٧) و(هموم المسلم المعاصر ص ٥٠ - ٥٥) .

خليفة يقول للناس : ابذلوا فيبذلون ، وليس عندنا بابًا ، وليس عندنا شيخ إسلام، ليس عندنا من يقول للناس ذلك ، إلا أهل العلم ، وأهل الغيرة على الإسلام ، وهؤلاء يجب أن يجتمعوا ويجب أن يفعلوا ، وفى استطاعتهم ذلك لو أرادوا .

إن تشاكى الهموم لا ينفع ، المسلمون يستشعرون ما هم فيه من مآسٍ ومن آلام ، وكلما جلس بعضهم إلى بعض تشاكوا الهم ، ولكن إلى متى نتشاكى ، ولا نفعل شيئًا ، ولا نقدم خطوة إلى الأمام ؟ لا بد أن نفعل ، لا بد أن نبدأ .

لقد ذكرت هذه الفكرة فى الجلسة الختامية لمؤتمر المصرف الإسلامى المنعقد فى الكويت أول أمس ، فجاء إلىّ أحد الخيرين من أهل الكويت وقال : سجل اسمى بمليون دولار لهذا المشروع (١) ، وأعتقد أن من أمثاله يوجد الكثيرون فى هذا البلد من رجال ومن نساء .

إننا فى حاجة إلى صندوق عالمى للإغاثة الإسلامية ، إننا فى حاجة إلى مال نحافظ به على شخصية المسلمين ، ونحن قادرون على هذا لو صدق منا العزم ، فإذا صدق العزم وضح السبيل ، ﴿ . . إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ . . . ﴾ (٢) ، ولا بدّ من أن نغير ما بأنفسنا بالعمل بدل القول ، وبالإيجابية بدل السلبية .

يا أيها الإخوة المسلمون : آن لنا أن نخرج من إطار الهزائم والنكسات ، وأن نرجع إلى أيام الانتصارات ، آن لنا أن نعود أمّةً كما كنّا ، لو أننا وضعنا أيدينا بعضنا فى يد بعض .

إننا قوة كبيرة ولكنها متفرقة ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (٣) ، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ضعيف بمفرده قوى بجماعته .

---

(١) هو الأخ الفاضل : الشيخ عبد الله على المطوع ، التاجر المعروف ، ورئيس جمعية الإصلاح الاجتماعى بالكويت ، وقد أوصى بعدم ذكر اسمه ، ولكنه عرف بعد .

(٢) الرعد : ١١ .

(٣) الصف : ٤ .

تبنوا هذه الدعوة ، الدعوة إلى صندوق للأمة الإسلامية ، ننقذ به ضحايا الفقر والفاقة والحرمان والضياع ، نحافظ به على المسلمين . . . نعلمهم . . نرعاهم ، ندافع به عن ديننا أمام الهجمات الشرسة من الشرق والغرب ، حتى لا نكون مخذولين إذا وقفنا أمام الله تعالى وقال لنا : ماذا فعلتم لدينكم ؟ ماذا فعلتم لأمتكم؟ ماذا فعلتم لإخوانكم ؟ فحضّروا للسؤال جوابًا .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يشرح صدورنا للعمل بدينه ، وأن يهيىء من أمرنا رشدًا ، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم اجمع كلمتنا على الهدى ، وقلوبنا على التقى ، وأنفسنا على عمل الخير وخير العمل ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته ، ولا عيبًا إلا سترته ، ولا مريضًا إلا شفيته ، ولا حاجة هى لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها يا رب العالمين ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية ، فى ديننا ودنيانا ، وأهلينا وأموالنا ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ، ومن فوقنا ، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا ، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا ، واجعل كلمة أعداء الإسلام هى السفلى ، اللهم اعل بنا كلمة الإسلام ، وارفع بنا راية القرآن ، وحبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، وصل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

﴿ . . . وَأَقِمِ الصَّلاةَ ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .